

## الحركة الصهيونية – ما لها وما عليها

"ان نسيتهك يا اورشليم تنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي ان لم أذكرك، ان لم أفضل اورشليم على أعظم فرحي". مز 137  
"اننا لا نحسب بعد أنفسنا كأمة بل كملة دينية ولذلك لا نرغب في الرجوع الى فلسطين، ولا في إعادة الذبائح والعبادة وراء بني هارون، ولا في ارجاع الشرائع المختصة بالأمة". تقرير مؤتمر الربانيين الاميركيين في بتسبرغ سنة 1885.

إذا سال القارئ الى اي عصر ترجع الحركة الصهيونية نجيب ان الحركة الصهيونية ترجع الى العصر الذي فيه زال ماجد الامة العبرانية وفقد فيه اليهود وطنهم وصاروا غرباء مشتتين في كل اقطار المسكونة. ترجع الحركة الصهيونية الى النبوءات المقدسة التي فاه بها انبياءهم بعد سبيهم – تلك النبوءات التي يعززون بها أمتهم وشعبهم ويصورون لهم بها مستقبلا سعيدا عندما يرد الرب سبي صهيون ويهبط لهم طريقا في البرية حيث «عوضا عن الشوك ينبت سرو، وعوضا عن القريس ينبت آس».

هل تمت هذه النبوءات؟ هل مسح الله دموع ابنة صهيون وملا قلوب شعبه ضحكا؟ هل اعاد مجد داود وقطع معهم عهدا ابديا لا ينقض؟

ربما عنى النبي اشعيا رجوع بني اسرائيل عن يد كورش الفارسي الذي سمح للبقية الباقية منهم وللذين لم يهنا لهم عيش على ضفاف نهر الفرات ان يرجعوا الى ارض كنعان، ويرموا بيت إلههم، على ان هذا الرجوع لم يحقق كل امال الانبياء الذهبية. جبل الرب لم يكن فوق كل الجبال، ولم تنصب الكراسي للقضاء في اورشليم. بل جل ما حققه التاريخ هو ان اسرائيل عادت كلمة صغيرة تحت حماية امة كبيرة كالفرس واليونان والرومان حتى ولا على زمن المكابيين عاد مجد اسرائيل كما وعد به الانبياء، فلم يلبثوا على حريتهم واستقلالهم في ذلك العصر الا قليلا. ففي سنة 64 ق. م أدخلهم القائد الروماني بومبي في حوزة الجمهورية الرومانية وداموا قسما منها الى يوم سقوط اورشليم النهائي في سنة 71 م. على يد تيطس الروماني ابن القيصر فسباسيان.

ولكن رغم كل معاكسات التاريخ ورغم ان ديانات جديدة خرجت من صلب اليهودية التي اعتبرت ذاتها متممة ومكملة لرسالة انبيائهم الروحية – رغم كل ذلك ورغم تقدم العالم وتوجه انظاره الى الامام وقف اليهود شاخصين الى اورشليم من حيث تأتي معونة الههم. هذه هي الانانية الدينية الامية التي هي اساس الحركة الصهيونية والتي وان ضعفت في بعض احداثهم العصريين لا تزال جراثيمها في قلوبهم.

على ان هناك عوامل اخرى لا تقل اهمية عن هذا العامل الديني، عوامل كانت باعنا محركا للصهيونية كما نعرف الان – اي الحركة الاقتصادية السياسية التي قام بها هرتزل واتباعه.

ان اضطهاد العالم لليهود وخصوصا العالم المسيحي ربي في اليهود خصائص نفسية اجتماعية فرقتهم عن الامم التي عاشوا في ظلها، فكان لهم شوارع تختص بهم وكانوا يرطنون باللغة العبرانية او بخليط منها ومن لغة البلاد – البديش او الاسبانيولي – مما بغضهم لأهل البلاد. ثم انهم اجبروا على اتباع مهن لا يرضى بها غير المذلول المضطهد وجرموا من اقتناء الاراضي والاملاك مما يكسب المرء مقاما في بلاده. وكل هذه آلت الى تكوين «امة وسط الامم» امة غريبة مشتركة بالبؤس وبالعواطف والاختبارات التاريخية.

فلما بزغت شمس الحرية المدنية بعد الثورة الافرنسية اخذت الامم المظلومة والمضطغوط عليها بالمطالبة بالحرية والاستقلال واتباع حياتها الامية. ومن جملة تلك الامم كانت الامة اليهودية، فقام في العقد السابع من القرن التاسع عشر مفكر الصهيونية الكبير موسى هس وبرهن لقومه وللعالَم الخارجي على ان اليهود امة حية ينبغي لهم ان يجتمعوا ويحيوا حياة امة مستقلة بدلا من ان يبقوا افرادا مشتتين في اقطار العالم.

كتب هس كتابه (رومية واورشليم) سنة 1862 ولم يلتفت العالم حتى ولا اليهود أنفسهم الى افكاره الفلسفية وبراهينه المنطقية اذ انه لم يكن ثمة داع قوي لتحريك الامة اليهودية. ولكن هذا الداعي جاء في اوائل العقد التاسع عندما اخذت روسيا باضطهاد اليهود وبطردهم من بلادها وبتشديدها على انتقال

هؤلاء من المدن الى القرى وبمنعهم عن امتلاك الاملاك ومعاطاة الفلاحة. اضطهد اليهود منذ قيل واهينوا كثيرا ولكن شعورهم كان خاملا ونفسهم ميتة. اما في القرن التاسع عشر فكان الامر بالعكس، لأنهم كانوا قد اشتروا في تقدم التمدن الحديث اشتراكا يخولهم الاعتراض والاحتجاج على امة نصف همجية كالأمة الروسية. فمن اليهود خرج رجال جديرون بالإجلال، منهم مفكرون عظام كسبينوزا وشعراء فطاحل كهيني واجتماعيون ككارل ماركس وموسيقيون كمندلسون. هذا عدا الجم الغفير من الكتبة والاساتذة والعلماء الثانويين.

ان الاضطهاد الروسي سبب حركة صهيونية استعمارية لاول مرة في تاريخ اليهود، فقام الطبيب الشهير في اودسا، ليو بنسكر، وكتب رسالته الشهيرة (اوتو ايما نسيبيشن) اي «التحرير الذاتي» ارتأى فيها اشتراء ارض واسعة يهاجر اليها من بني جنسه من لم يشأ او لم يقدر ان يسكن بين سائر الامم، ارض يكيف فيها اليهود تمدنهم كما يشاؤون وينمون فيها نموا طبيعيا بدون ضغط او اضطهاد من الخارج. لم يكن في فكر بنسكر استعمار فلسطين بل العكس نصح لليهود ان يبتعدوا عن بلاد لم يهنا لهم في العيش. على ان اليهود، ومنهم الذين كانوا يتألمون تحت اضطهاد روسيا رفضوا بتاتا ان يذهبوا الى أي بلاد سوى فلسطين. هكذا كانت قوة العواطف الدينية قوية بينهم وخصوصا بين عوام الروسين والرومانيين والبولنديين منهم الذين كثيرا ما ساحوا في فلسطين في اواخر حياتهم كيما يموتوا في ارضها وان لم يتح لهم ذلك كان يرش من ترابها المقدس على جفونهم وبين ارجلهم قبل الدفن، كي يقال عنهم انهم دفنوا بأرض اسرائيل! فما كان من حركة بنسكر سوى انها اوجدت جمعية «حوبيي صهيون» اي محبي صهيون التي راسها بنسكر ذاته والتي كان قصدها ارجاع من شاء من اليهود الى بلاد فلسطين وتوليدهم هناك. وما ناله هؤلاء المهاجرين الى فلسطين من العذاب رغما عن مساعدة المثريين اليهود المشهورين كالبارون روتشيلد والبارون هرتش كان أعظم دليل على عدم صلاحية هذه الحركة، فان المهاجرين انحطوا لدرجة احوجتهم الى الاستعانة الصدقة - خالوقه - من اخوانهم اليهود في اوربا. وهكذا لم تنجح حركة بنسكر لانها كانت على نمط مغير فاليهود لم يمتلكوا من فلسطين سوى اماكن متفرقة اغلبها قاحلة وغير صحية.

ابتدأت الحركة الصهيونية السياسية الحديثة عندما كتب ثيودور هرتزل كتابه المشهور «بودن شتات» أي المملكة اليهودية، كان هرتزل في باريس مكاتبا لجريدة "الفرابي نوبي بر سي" النمساوية في فيانا. وصدف في اثناء وجود هرتزل في باريس وقوع حادثة دريفوس التي اتهم فيها ضابط يهودي بالخيانة لفرنسا فكانت تلك الحادثة محركا لاضطهاد اليهود هناك بعد ان كانت فرنسا تعد ملجأ لليهود.

ان بواعث الحركة المدعوة باسم "ضد الساميين" (انتى سمترزم) عديدة كما فصلها الدكتور رون في كتابه **تاريخ اليهود في هذه الايام** واهمها إشغال اليهود المقام السامي في الميزانية المالية الاوروبية لمعاطاتهم مهنة الصيرفة، فكانوا على قلة عددهم قوة لا تنكر وكثيرا ما كيفوا الأحوال السياسية كيف شاءوا وأصبحوا كفة الانتصار في الحروب. فكانت الأهالي تبغضهم لهذا كما كانت تبغضهم ايضا لتوقد اذهانهم وتفوقهم في الدروس والفنون وتراكمهم نحو المناصب العالية. كان هذا الاضطهاد الاجتماعي الذي سد في وجه اليهود طرق التقدم والتنصب في المراكز الاجتماعية والاكاديمية المهمة أكبر باعث للحركة الصهيونية الهرتزلية. فحركة هرتزل هي رد اليهود على اعدائهم الالاء - الانتي ساميتز - فكان اليهود يقولون لهؤلاء "أنتم لا تريدوننا ونحن لا نريدكم ايضا. ان لنا بلادا هي بحكم التاريخ بلادنا واليها سنرحل عنكم نافضين غبار ارجلنا على بلاد غربتنا. نحن امة مثلكم نرغب في مركز تحت الشمس وسنحصل عليه بقوة مالنا ورجلنا".

لا حاجة لنا ان نطيل الشرح في حركة هرتزل السياسية وما تأتي عنها منذ التأم المؤتمر الاول اليهودي سنة 1897 في مدينة باسل، ونكتفي بالقول هنا اجمالا ان الفرق الكبير بين حركة هرتزل وحركة بنسكر و "حوبيي صهيون" مثلا هو ان هرتزل اراد ان يحصل على حق شرعي لامتلاك فلسطين بواسطة معاهدات دولية، فهو اول من افكر بأخذ امتياز للمهاجرة الى فلسطين من السلطان عبد الحميد، وهو اول من تزلف الى الدول الاوروبية العظمى وسواسها الكبار كي يحصل على مساعدتهم. وكان الدول الاوروبية احست ان هناك قوة سياسية اجتماعية اقتصادية لا يستهان بها يمكن استخدامها لمنافعهم ومقاصدهم السياسية. ففي سنة 1903 عندما قابل هرتزل اميراطور المانيا خارج اورشليم وعده ذلك الطاغية بمساعدته ظنا منه ان كون الجانب الكبير من اتباع هرتزل المان يساعده على الاحتلال الالمانى بنشرهم اللغة الألمانية والتهذيب الالمانى. كذلك الانكليز سنة 1905 قدموا لهم مساعدتهم وعرضوا عليهم استعمار افريقيا الشرقية، على ان هذه المساعدة لم تحز قبول أكثرية اعضاء المؤتمر الخامس رغم تحريض الاقلية (وبينهم هرتزل ونوردو) على قبولها الى ان يتسنى لهم امتلاك فلسطين، فكان ذلك الخلاف داعيا لانقسام الصهيونيين الى قسمين كبيرين، قسم لا يرغب باستعمار في بلاد سوى فلسطين وقسم يلح على قبول أي مساعدة كانت تخفف وطأة الاضطهاد اليهودي في اوربا

الشرقية. فانفصل القسم الاخير عن إخوانهم الهرتزليين وقاموا بحركة استعمارية مستقلة يرأسها الكاتب اليهودي الشهير اسرائيل زانغويل الذي كان العضد الأكبر لهرتزل وحركته. ليس كل الصهيونيين من رأي هرتزل السياسي، فان هناك قسما كبيرا من الصهيونيين "الفلستينيين" – اي الذين يرغبون في فلسطين دون غيرها– الذين لا يرغبون البتة في تأسيس مملكة يهودية ولا في استخلاص البلاد من اهليها، بل ايجاد مركز ادبي روحي يربط اليهود في العالم اجمع ويحفظ الآداب اليهودية واللغة العبرانية من الاندثار. هؤلاء عرفوا جيدا صعوبة تأسيس مملكة تجمع كل اليهود فاستعاضوا عن ذلك بمعاهد ادبية استعمارية يؤمها الشبان اليهود للدرس ولتنقيف اذهانهم بالآداب اليهودية. وكان من أكبر الداعين لهذه الحركة الادبية اليهودية الصهيونية الكاتب والمفكر اليهودي الشهير أشر غنزبرغ او كما يدعو هو نفسه – احد ها عم – أي "احد القوم" فهو من اول القائلين بتأسيس الجامعة اليهودية في اورشليم. ومن جملتهم أيضا النحات بورس شاتز الذي اسس المعهد الفني اليهودي في القدس، المشهور باسم بصلئيل – نسبة للرجل الذي هندس خيمة الاجتماع كما جاء في سفر الخروج.

ان الصهيونيين الحديثين لا يهتمهم رجوع الطقوس الهيكلية، فكما قال أحدهم الجامعة هي هيكلهم الحديث. كذلك هم لا يرغبون في ارجاع شرائع موسى المدنية ويفضلون بين الدين والحكومة وما الدين عندهم سوى جامعة وطنية تجمعهم.

هذه هي الحركة الصهيونية بأوجز الوصف. والان لننتقدم الى ذكر الاعتراضات على هذه الحركة ليس فقط من السوريين بل من اليهود أنفسهم ايضا. ان البلاد التي اختارها اليهود بلادا لهم هي بلاد لغيرهم وهي ليست قفرا كما يدعون وليست ملكا للسلطان (كما دعاها هرتزل) يهبها لمن يشاء، ولو كانت قبلا تحت سلطانه المطلق: ان فلسطين هي ليست كما يعده الصهيونيون ارض اسرائيل بل قسم من بلاد العرب افتتحوها بحد سيوفهم وقدسوها بحياة رجالهم الاتقياء وابطالهم. كذلك هي كانت قبلا ارضا مقدمة للمسيحيين ولد وعاش فيها مؤسس الديانة المسيحية. فالاختبارات التاريخية التي تربط هذه البلاد بالمسيحيين والمسلمين هي ان لم تكن أكثر واهم من الذكرى والاختبارات التاريخية التي تربطها باليهود لا تقل عنها في الاهمية. زد على ذلك ان للسكان حق التملك الذي لا ينكر. فحقهم للبلاد لا ينقض عن حق فرنسا للاندلس واللورين كما صرح بذلك المؤتمر الفلستيني في قراره الذي رفعه الى مؤتمر الصلح في باريس: لا بل حقهم اوضح واثبت اذ ان فرنسا لم تملك على تلك البلاد الا مدة مائتي سنة اما المسيحيون والعرب قد امتلكوها مدة تزيد عن ألف وخمسمائة سنة فكانت مدتهم فيها فعلا أكثر من كل مدة وجود اليهود فيها كما اظهر ذلك الاستاذ الكبير جورج ادمس سمث في كتابه (سورية والارض المقدمة) فان جاز لليهود استرجاع فلسطين بعد كل هذه القرون جاز للعرب استرجاع الاندلس وللافرنسيين استرجاع كندا. اما من جهة البراهين الدينية في او هن بكثير، فان البرهان الديني لا يثبت حقا شرعا اذ ان الشرع حكم متميز عن العقائد الدينية يحكم بين من يؤمن بأبواب العهد القديم وبين من يرفضها بتاتا بحسب نظامات ملكية شرعية مبنية على نظريات العدل لا الإيمان. هذا إذا فرضنا ان ما يدعيه بعض اليهود هو صحيح طبقا للكتاب فان هنالك قوم يعدونهم ناقضين للتوراة ومحرضين لها وقوم اخر يحسب ان نبوءاتهم قد تمت بمجيء يسوع الناصري. فمن هو الحكم بين تلك الفئات وكلهم يدعون الوحي لتثبيت آرائهم؟ هل يقدر اليهود ان يقنعوا خصومهم من الكتاب وهؤلاء يدعون ان تفسيرهم للكتاب هو خطأ وفساد؟ ثم ان عمل الصهيونيين مغاير لنطق التوراة حتى ولو قبلنا تفسيرهم لنبوءاته. فالكتاب ينص انه سينقذ اسرائيل لا بمركبات ولا بخيل بل بذراعه الممدودة كي لا يقولون ان يدهم فعلت ذلك. فان كان هذا نص الكتاب فما هو الداعي للاستعانة بمركبات وخيل الإنكليز وكيف تتم امالهم الصهيونية على طبق الكتاب وهم وان تسنى لهم الرجوع الى فلسطين سيكونون امة صغيرة تحت سيطرة دولة عظيمة كما كانوا على زمن الفرس واليونان والرومان. فان جاز ان يكون هذا تنمة نبوءاتهم فلماذا لم يجز ان يكون استقلالهم عن يد المكابيين تنميتها الحقيقي وهو أقرب لوصف الانبياء للعصر الصهيوني من حياتهم الاستعمارية تحت حماية الإنكليز؟ اما اذا أجاب الصهيونيون انهم لا يستعبدون لحرف الكتاب بل لروحه فنقول انه اذا جاز لهم التساهل بتفسير الكتاب حتى يتغاضوا عن ارجاع الهيكل مثلا وعن العود الى شرائع موسى بكاملها جاز لهم اختيار بلاد غير فلسطين اذ ان اختيارهم فلسطين مبني على قضية دينية محضة لا يسمح فيها بإبدال الهيكل بالجامعة او بمعهد بصلئيل وقد احس بهذه المناقضة بعض اليهود أنفسهم الذين هم أشد تمسكا بحرف التوراة فهم يناقضون الصهيونيين ولا يركنون الى معاهدات سياسية تجرب الرب ولا يسلمون باستعمال اللغة العبرانية للغة المقدسة كلغة درجة التكلم والكتابة كما يفعل الصهيونيون ولا يقيمون الجامعة مقام الهيكل بل ينتظرون خلاص الرب كل يوم الى ان يظهر المسيح المنتظر الذي يرد سبيهم ويجعلهم اعظم واقوى الامم حيث تصير صهيون كما تنبأ عنها الانبياء عاصمة لكل العالم منها تخرج الشريعة والقضاء. فشتان بين التفسيرين وشتان بين الحلمين وشتان بين الطريقتين للوصول الى الغاية الصهيونية.

ثم ان اليهود يطالبون بفلسطين زعما انها ارض مستقلة عن سورية منفصلة عنها ومن الممكن وضعها تحت وصاية مستقلة وان الحالة فيها تسمح لزيادة في السكان الى اضعاف الحد الذي هي عليه. فنقول اولاً انه بإجماع علماء الكتاب المقدس والمؤرخين لا يوجد أدنى مسوغ جغرافي جيولوجي او تاريخي اقتصادي لفصل فلسطين عن سورية وقد ذكرت ذلك بأكثر تفصيل في رسالتي الانكليزية تحت عنوان «سورية للسوريين» على اننا نقول هنا ان سورية من جبال طوروس الى العريش هي قسم جغرافي طبيعي متصل مؤلفة من جبال ووديان تمر من الشمال الى الجنوب، فاذا جاز تقسيمها كان ذلك الى مقاطعات مستطيلة - مقاطعة الساحل ثم الجبال الغربية (لبنان وجبال اليهودية) ثم وادي اللباني والاردن ثم الجبال الشرقية (لبنان الشرقي وجبال باشان الخ.) ثم البادية. وكل هذه المقاطعات تخترق سورية وفلسطين على السواء فلا حد طبيعي يفرق سورية عن فلسطين مطلقاً ولم تكن فلسطين ابداً كلها بيد اليهود الا على زمن سليمان. فعلى زمن عزهم - زمن داود- كان الد أعدائهم الفلسطينيين «الغف» الذين دعيت ارض فلسطين باسمهم لا باسم بني اسرائيل.

لقد اتضح للأهلين الان سفه الصهيونيين وسخافة "حقوقهم" السياسية والامية فيها. ويكفي بالعريضة التي قدمها مؤتمر فلسطين الى مؤتمر الصلح في باريس برهانا على تيقظ الاهلين لحركة تنوي سلب حقوقهم المدنية والسياسية والامية وتجعلهم غرباء في بلادهم كي يوسعوا مكانا للغرباء. ان اعتراضات اليهود الذين لا يصادقون على الحركة الصهيونية لا تقل اهمية عن اعتراض السوريين. واهم هذه الاعتراضات ان الصهيونيين، بتأسيسهم مملكة صغيرة في فلسطين لا يمكن ان تسعهم كلهم، يجعلون أنفسهم هدفاً لسهام الوطنيين الذين طالما نظروا إليهم كغرباء لا يهمهم أمر البلاد الساكنين فيها. فالصهيونية تمكن سوء الظن في اعداء اليهود وهذا مما لا يرضاه اليهود الاحرار الذين لا يقلون وطنية عن بقية سكان البلاد. فالصهيونيين راية مستقلة وانشودة وطنية مستقلة وهم يحثون على استعمال اللغة العبرانية - كل هذه الأشياء تثبت تشكي الانتي سميتزم منهم بأنهم امة بين الامم لا تمتزج ولا تتحد مع غيرها وتؤول ضد الوطنية الحقبة الغير منقسمة في اميالها وولائها.

ثم ان «اليهود الاحرار» (ريفورم جوز) لا يرضون بحركة صهيونية تجمع بين الدين والامة ان لم تجمع بين الدين والحكومة كما ادعى الصهيونيين اذ يستحيل على المسلم او المسيحي بحكم ذاتيته ان يكون صهيونياً فتصبح معاملة الصهيونيين للأهلين الفلسطينيين كمعاملة الامم لليهود. فان صح ذلك صح اضطهاد اليهود الاجتماعي في اوربا للسبب عينه. ثم انه رغم وجود رجال احرار كثيرين بين الصهيونيين فان الاغلب بينهم من المتعصبين في الدين والرجعيين فالحركة الصهيونية تمكن في هؤلاء النزعة الدينية - خصوصاً في بلاد التعصب الديني - وتهدد الامة اليهودية بصبغتهم الغير محمودة. هذا وانه يوجد بين اليهود من لا يهمهم امر ايجاد امة يهودية مطلقاً ومن لا يودون الاجتماع في مكان لأنهم يدعون رسالة اليهود هي للعالم اجمع وانه لم يظهر بين اليهود رجال عظام كبار الا عندما تشتتوا وهجروا وطنهم وقد اظهر الاستاذ جاسترو ذلك بكل جلاء في كتابه الحديث ضد الصهيونيين.

اما من جهة تشجيع الآداب والفنون اليهودية فلا يوجد اسقم من هذا القصد فان الآداب الحقيقية والفنون الاستنباطية لا يعوزها تشجيع وهي ليست امية بل فردية وكل امة اخذت بتقييد كتابتها او فنونها الى قصد محدود او غاية مرسومة كما يفعل الصهيونيون عاد اجتهادها عليها بالفشل. واكبر برهان على ذلك ما جرب القيصر ولهم الثاني فعله من تحريض الكتبة والفنيين على تعليية شأن المانيا فكان كل ما كتبه او رسمه هؤلاء مستهجن كما يبرهن على ذلك تماثيل "السيبلغ الي" (اي شارع النصر) المشهورة. قال احد الأساتذة الثقافات في اللغة الانكليزية ان ابخس شعر كتبه تنبسون كان ما نظمه وهو شاعر الامة - بوت لوريت - هذا لا يعنى ان الامة لا يبنى ان تحض على العلوم والفنون اجمالاً بل ان لا تكيف رأياً في الفن أو الكتابة واشراك الدين والعقائد المحدودة، لا الروح الدينية المحضة - في امر الامة هو اكبر تقييد للفن والعلم الحقيقي. ولا أجمل من مثال بعض الخلفاء العباسيين من هذا القبيل فان جل ما صنعوه نحو العلوم والفلسفة والفن هو إطلاق سراحها وفك عقالها ولم يقفوا في سبيل معتقد او مذهب فلسفي او نزعة فنية ما. فخرج في عصرهم كتبة مستنبطون احرار من كل صبغة وعلى كل مذهب. ان الكاتب الحقيقي والفني المبتكر هو كبعض الطيور التي ان سجنتم ضمن قفص توقفت عن الغناء.

ولا نحتاج الى دليل أو برهان على صدق ما اوردناه اوضح من شهادة الكاتب والفني اليهودي كوفن الذي اظهر في سلسلة مقالات في مجلة السنثوري الأميركية لسنة 1919 فساد تجربة الصهيونيين في إعاش الحياة اليهودية في المستعمرات الصهيونية في فلسطين وتصنعهم في كل لفظة من لفتاتهم حتى في استعمال اللغة العبرانية في كلامهم العادي والى هذا الرأي يذهب ايضا الاستاذ فلرتون في مقاله التي ظهرت في المجلة اللاهوتية لجامعة هارفرد (سنة 1917).

ثم ان اليهود الذين هجروا البلدان المختلفة هرباً من تأثير العوامل الغربية عليهم تبعتهم تلك العوامل الى فلسطين مبرهنين ما قد أثبتته علماء الاثنولوجيا وهو ان العوامل التاريخية المكتسبة هي اقوى من

عوامل الجنس او العنصر التي هي ليست اصلية ابدأ. فاليهودي الالماني الماني اولا ويهودي ثانيا وكذلك اليهودي اليمنى يمنى واليهودي الروسي روسي. ومن المعروف ان العداء بين الاشكنازيم - أي اليهود الغربيين - وبين الشفرديم - اليهود الشرقيين كان شديدا والآخرين أقرب لنا نحن السوريين من اليهود الغربيين أنفسهم. فلا عجب ان الكاتبة الانسة ماريون وينشتين فنتشت عبثا عن "العنصر الفلسطيني" فانه كالعنقاء خليقة الوهم لا الحقيقة. كذلك الفرق بين الشيع الدينية "واللادينية" عظيم بين الصهيونيين يكاد يقضي على حلمهم الذهبي ويقف حاجزا في وجه اتحادهم الامي الديني. وبالختام ان الامة امر كائن طبيعي لا امر مقصود مصطنع، والعوامل التاريخية المكتسبة والعوامل الاقتصادية الطبيعية الضرورية هي اشد بكثير من وحدة الارادة او العنصر او الدين في مسك افراد الامة. فالعوامل الاولى المذكورة مفقودة لدى الصهيونيين، تشتتهم بين الامم قضى على اتحادهم الاقتصادي وأكسبهم على مرور السنين والاجيال صفات واختبارات تاريخية مختلفة باختلاف الامم التي سكنوا في وسطها رغم كل مانع في الماضي في طريق اتحادهم الكامل معهم. والان مهما كان الامر فسيل اتحادهم مع الامم قد سهلت وقد تلاشت، وكادت اسباب اضطهادهم الاجتماعي تزول بزوال الاوتوقراطية والمتعصبين لها اذ ان حقيقة اضطهاد اليهود ناشئ عن وجود العدد الكثير من السوشالست بينهم.

ثم انه لا أساس لما يامله اليهود من تميزهم في فلسطين عن العوامل الاوربية والعالم قد ارتبط بعضه لدرجة صار فيها من المستحيل فصل فلسطين ادبيا ومدنيا عن باقي العالم واصبحت المسألة اليهودية - والحق ان لا مسألة يهودية هناك - عسيرة الحل في فلسطين كما هي في غيرها من البلدان.

#### الخلاصة

1. ان اليهود ليسوا بسكان فلسطين الاصليين.
2. ان قسما كبيرا من سكان فلسطين الحاضرين هم من بقايا سكانها الاصليين الذين كانت قبل ان احتلها اليهود ويقوا فيها بعد ان تشتتوا.
3. ان فلسطين لم تكن كلها تحت حكم اليهود الا نحو ٤٠٠ سنة اي من زمن شاول الى سبي بني إسرائيل على يد شلمنصر الثاني وفي اثناء هذه المدة (حتى على زمن داود) لم يخضع الفلسطينيون لليهود خضوعا تاما.
4. ان اليهود لم يسيطروا على فلسطين بعد ذلك الا على زمن المكابيين مدة تقل عن المئة سنة.
5. ان تمدن فلسطين الان عربي معنى وقبل العرب كان في كل البلاد ما خلا مقاطعة فلسطين الغربية، رومني او يوناني او بيزنطي.
6. ان ادعاء اليهود في تحسين البلاد مبالغ فيه. فان معدل الربح من الهكتار الفرنسي عند اليهود يبلغ ٢٣٥ وعند الالمان ٦٠٠ كما ابان ذلك الدكتور أرثر روبن في كتابه عن عمران سورية ومهما صح لا يثبت لهم حقا شرعا لتماما. اذ ان فلسطين على حسب نص قانون جمعية الامم ليست بلادا "مقهورة" بل "محررة" وهو يخولها حق اختيار الحكم الذي تريده والوصي الذي تختاره.
7. لا يجوز فصل فلسطين عن بقية سورية لا تاريخيا ولا اقتصاديا ولا عمرانيا ولا سياسيا. وان جاز تقسيم البلاد كان ذلك طولا إلا عرضا. اي الى الساحل وجبل لبنان والوادي بين لبنان الغربي والشرقي ثم لبنان الشرقي ثم مرتفع البادية. كل هذه الاقسام تخرق سورية وفلسطين على السواء.
8. ان صبغة الصهيونيين الادبية في فلسطين ليست يهودية وذلك بشهادة بعض اليهود أنفسهم. فان اليهود هناك مصطبغون بكل صبغة ادبية اوربية وقعوا تحت تأثيرها في تشتيتهم الطويل. وقد صارت هذه الصبغة المكتسبة لطول المدة والعوامل التاريخية اقوى من الصبغة العنصرية اليهودية. فيهود اليمين أقرب للعرب منهم اليهود المانيا او روسيا.
9. ان لا أساس لادعاء اليهود بأنهم عنصر واحد - سامي - فانه قد انضم اليهم عناصر مختلفة قبل وبعد تشتتهم منها الكنعانيون على اختلاف عناصرهم ثم اليونان والعرب والحبش والخزر والسلاف كما تشد بذلك دائرة المعارف البريطانية.
10. ان حلم اليهود الذهبي للاحتفاظ على الذاتية اليهودية لن يتم وذلك لأمرين:
  - ان الذاتية اليهودية امر خيالي لا حقيقة لها سوى في الماضي.
  - ان التعنت للاحتفاظ الذاتية مغاير لسنن النشوء والتاريخ الطبيعية. فذوات الامم تتغير وتنمو طبيعيا ولا تحتاج الى اجتماع في مكان محدود خصوصا في هذا العصر الذي تلاشت فيه عوامل التفريق الجغرافية. فالحركة الصهيونية هي حركة تصنيعية لا طبيعية. وقد زالت كل الموانع في سبيل تقدم اليهود وحرثهم الادبيين فلا لزوم لحركتهم الان خصوصا وهي كما قد اظهرنا محاطة بالصعوبات

فلا رجاء لليهود ان تتحسن الاحوال في فلسطين اكر من غيرها ولا ان يتم انفرادهم الادبي كما يحلمون  
فعوامل التمدن الغربي قد عمت فلسطين كما عمت غيرها من اقسام المعمور.